هذه الاعمال فاكثرهم يعتقد بصحتها فني الانسان قوة لا نعرف ماهيتها والاحرى بالعلماء ان يبحثوا في هذه القوة فان الاعتقاد بالارواح خارج عن الموضوع ولو اعتقد بها بعض الباحثين في هذه الظواهر »

هذا آخر ما قرأناه في هذا الباب والذين حضروا الاعمال التي ذكرناها وشهدوا بصحتها اكثرهم من المدرسين للعلوم الطبيعية والكيماوية ولكن اذا ثبت ان واحداً منهم كان متواطئاً معها على الخداع لاسيما وان الاعمال تجري ليلاً وعلى نور ضئيل لم يتعذر عليهما ان يخدعا غيرهما

احياء الآداب العربية

قدّم حضرة احمد زكي بك كاتب السر الثاني لمجلس النظار مذكرة الى سعادة حشمت باشا ناظر المعارف « عن الاسباب والوسائل المؤدية لاحياء العلوم والآداب العربية بمصر » مع مجموعة من الكتب التي استنسخها بالفوتوغرافية واستحضرها من الاستانة واوربا . فلمعن سعادة الناظر نظره فيها وقدّم تقريراً الى عطوفة رئيس النظار قال فيه « ان المذكرة تشير الى مبلغ الاريحية التي كان يجود بها ملوك مصر وسلاطينها والى مقدار المساعي المتواصلة التي بذلها رعاياهم لاعلاء شأن الحضارة الاسلامية وازدهاء رونقها في بلاد الشرق فكانت النتيجة من هذا العمل المزدوج ان ظهرت في سماء المعارف العربية كتب جليلة حافلة بالبحث في الموضوعات المفيدة في كل فن ومطلب ولكن لسوء الحظ قضي بان لا يصل الى ايدينا من تلك المصنفات الثمينة سوى النزر اليسير . ثم جاء دور الافول فكان من دواعي الانحطاط ان مصر اضاعت ذخائرها وكنوزها في اثناء التقلبات التي اصابتها والمحن التي توالت عليها مما لا فائدة من ترديد ذكراه الآن فانطفأ ذلك السراج الوهّاج وخبا ذلك الذكاء المصري بيد ان شعاعاً ضئيلاً من الأمل تبدّى في الافق فانبعث معهُ ذلك الذكاء من مرقده بعد ان كان الناس يظنونهُ قد دخل في خبر كان ولكنهُ في الحقيقة انما كان في سبات لا في ممات والفضل في تجدد هذه الحياة الادبية راجع الى محمد علي الكبير والى حفيده اسماعيل

« لذلك توخى صاحب المذكرة ان يستفيد من هذه اليقظة الادبية فاخذ يعمل على ايجاد الوسائل اللازمة لتجديد عهد الآداب العربية في ظل خديوينا المحبوب عباس الثاني الذي تعود ان يقفو آثار اسلافه الفخام في سلوك المكارم وتجديد مفاخر المآثر

« والوصول الى هذه الغاية التي ما زال ينشدها واضع المشروع قد اقترح تنظيم دار الكتب الخديوية تنظيماً يشمل جميع فروع الاصلاح التي تستوجبها مكانتها فتأتي بالثمرة المطلوبة وتقوم بالخدمة الواجبة عليها

« واشار الى انهُ يجب ارجاع المطبعة الاهلية الى مجيد عملها السابق وذلك بطبع التآليف التي تفخر بها علماء مصر حتى يتسنى لاهل الجيل الحاضر ان يشعروا عن ساعد الجد ويواصلوا سلسلة الابتكار في العلوم والآداب التي بدأ بها اجدادهُ الامجاد

« وقد رأى من الواجب عليهِ ان لا يقف عند الاشارة الى نظريات مبهمة او ابداء رغائب مجردة عن وسائل التنفيذ مما لا يكون كفيلاً باستكمال وسائل النجاح فلذلك افرغ وسعهُ وبذل جهدهُ ولم يضنَّ بشيءٍ من مالهِ ووقتهِ وراحتهِ حتى تيسرت لهُ كل الاسباب المؤدية لتحقيق الخطة التي رسمها لنفسهِ وذلك انهُ قرن العلم بالعمل وأتبع القول بالفعل فانتهز فرصة الانقلاب الذي حصل في الدولة العلية وشخص الى الاستانة وتمكن هناك من استخدام الفوتوغراف في نقل جلائل المؤلفات التي تزدهي بها الآداب العربية خصوصاً تلك التي كانت فيما مضى من اجمل الذخائر في الخزائن المصرية

« ولم تقف همة هذا الباحث عند حد التنقيب وتلمس تلك الآثار من كنوزها في القسطنطينية بل واصل سعيهُ ايضاً في ربوع العلم باوربا لاستيفاء كل المعدات ولاتمام عملهِ على احسن حال

« هذا وقد الم في مفكرتهِ بايضاح وجيز الى كل واحد من هذه المصنفات النادرة فكتب نبذة قصيرة تكشف عنها اللثام وتبين الفوائد التي تعود على اللسان العربي والامة المصرية من العناية بطبعها وتعميم نشرها . ولقد رأيت من الواجب ان استعلم عما اذا كان لهذه المصنفات او لبعضها اثر ما في دار الكتب الخديوية او في احدى مكتبتي الازهر الشريف والمجلس البلدي بالاسكندرية فوافتني هذه المعاهد الثلاثة ببيانات تسمح لي بالتصريح بان المؤلفات التي نقلها حضرة احمد بك زكي واستحضرها لا توجد اصلاً ضمن مكاتبنا وبجامعنا الاهلية وانها لم تطبع حتى الآن وان في طبعها نفعاً عظيماً للمستورين من ابناء مصر وسائر اهل العلم على الاطلاق

« ولا ريب في ان حكومة الجناب العالي الخديوي الآخذة بناصر الآداب العربية العاملة على تروجها وتعميم الانتفاع منها ستقدر هذه الكنوز حق قدرها وتعمل على اقتنائها واضافتها الى خزانة كتبها النفيسة خصوصاً وان معظمها مما جادت بهِ قرائح البارعين من المصريين

« وليس من الصواب ان يقف عمل الحكومة الخديوية عند هذا الحد من الاغتباط

بالحصول على هذه المجموعة واضافتها الى دار الكتب الخديوية بل يتحتم علينا ان نبادر الى السعي في طبعها بحيث لا يمضي قليل من الزمن حتى تصبح منهلاً سائغاً للقاصد ومورداً عذباً لكل طالب

« ولقد آن للحكومة الخديوية ان تعضد العلماء المصريين وتفتح لهم مجال البحث ليتمكنوا من الاستمرار على التنقيب والتأليف فيعيدوا في مصر عصر آبائهم ويصنعوا مثل ما صنعوا والي لعلى يقين من انهم سيجدون في المجموعة التي توفر حضرة احمد بك زكي على تكوينها وايجادها جميع الوسائل التي تبعث فيهم روح العمل فيحفل عود الدرس ويثمر بما يعود بالنفع العام على مصر وغيرها من اقطار الشرق

« وأرى لاطراد هذه الحركة ان نبدأ منذ اليوم بطبع الموسوعتين اللتين تفتخر بهما مصر والعرب على الاطلاق واعني بهما « نهاية الارب في فنون الادب » للنويري و « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري لان هذين الاثرين الجليلين قد انعدما من بلادنا في جملة ما اضاعته من الكنوز الغوالي على اثر ما انتابها من الطوارق والطوارىء

« ولقد اعيى العلماء الغربيين استكمال هذين الاثرين النفيسين فلم يوفقوا الى جمع اشتات هذه الضالة المنشودة مع ما بذلوه من الجهد في كثير من الازمان حتى اتاح الله لاحد مواطنينا تيسر له بعد متاعب احتملها مدة عشرين عاماً واهتدى لجمع المواد والاجزاء التي يتالف منها هذان السفران واثبتها كلها بالفوتوغراف فحق لنا بعد ذلك ان نهنىء انفسنا على هذا النجاح الباهر

« واذا اخذنا في طبع هاتين الموسوعتين بسعد الجناب الخديوي العالي الذي تفضل فاظهر عنايته العالية بامرها فلا شك ان الاقبال على اقتنائهما سيكون عاماً عند جميع الطبقات وخصوصاً عند الفئة المولعة بالدرس وارباب العقول المستنيرة بمصر والشرق بل يتعداها الى الجامعات ودور الكتب في البلاد الاجنبية والمستشرقين الذين يقدرونهما حق قدرها لانهم طالما استفادوا منهما

« وعلى ذلك فاني اشير بتشكيل لجنة من اهل الدراية تختارها نظارة المعارف العمومية لتهيئة هذين السفرين للطبع ويكون من خصائصها النظر في الاصول وضبطها بالدقة قبل تسليمها للطبعة الاهلية لان الطبع اذا ما باشرته الحكومة الخديوية بنفسها واشرفت عليه برعايتها يجب ان يكون مستوفياً لكل اسباب الكمال ليجيء مناسباً لحاجات العلم والنقد في العصر الحاضر

« بقي علينا ان ننظر في تدبير المال اللازم للشروع في هذا العمل الخطير وهو متوفر لدينا

لوجود المبلغ الاحتياطي في دار الكتب الخديوية فان هذا الاحتياطي مخصص بطبيعة الحال لاحراز واستنساخ وطبع المخطوطات العربية وقد بلغ في آخر اغسطس الماضي ٩٣٩٢ جنيهاً مصرياً ويجب الاشارة الى ان استخدام ذلك المبلغ الاحتياطي في هذا السبيل النافع ستنتج عنهُ ثمرة مفيدة لدار الكتب الخديوية من الوجهة المادية المحضة فضلاً عما يترتب عليهِ من المزايا الادبية الكثيرة

اما الكتب المشار اليها آنفاً . فهذه اسماؤها

﴿ مرسومات ﴾

نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين النويري

مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري

جوامع العلوم لفُرَيْعين تلميذ ابي زيد احمد بن سهل البلخي

﴿ ادب وبلاغة وانشاء ﴾

الفاخر للمفضل الضبي

ديوان الحماسة الصغرى المعروف بالوحشيات لابي تمام

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي

التسهيل بالتخيل وهو المعروف بتسهيل السبيل الى تعليم الترسيل للحُمَيْدي

رسائل وخطب واشعار السلطان الملك الناصر يوسف صلاح الدين الايوبي من جمع حفيدهِ

مجموعة ترسل القاضي الفاضل عبد الرحيم البياني

﴿ حديث ﴾

فنون العجائب

اكرام الضيف

﴿ آداب الملوك ﴾

كتاب التاج للجاحظ

محاسن الملوك

رسائل الملوك ومن يصلح للسفارة ومن امر بارسال رسول ومن نهى عن ذلك وكيف ينبغي لمن أُرسل الى ملك ان يعمل في الاحتياط لنفسهِ ولمن ارسلهُ ومن ذُمَّ من الرسل ومن حُمِد لابي علي الحسن المعروف بابن الفراء

كتاب تنبيه الملوك (وسياساتهم في تدبير الامم والممالك)

﴿ التاريخ ﴾

كتاب المقتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام لمحمد بن حبيب

ذيل تجارب الامم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه تأليف ابي شجاع احد وزراء الدولة العباسية

درر التيجان وغرر تواريخ الزمان لابي بكر بن عبدالله بن ايبك الدواداري المصري كنز الدرر وجامع الغرر له ايضاً

﴿ التراجم ﴾

إلباه الرواة على أنباه النحاة للقاضي الاكرم الوزير القفطي

نزهة الالباب في الالقاب لابن حجر

التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق ابي سعيد جقمق لابن عربشاه

هدية العبد القاصر الى الملك الناصر ابي السعادات محمد بن السلطان الملك الاشرف لعبد الصمد الصالحي

سبك النضار وكشف المفاخر ونثر الدرر ونظم الجواهر من سيرة المقر الاشرف السيفي اقباي الاسد الظافر كافل المملكة الغزية (في ايام قايتباي) لعبدالله بن محمد بن عبدالله الزكي الغزي الحنبلي

﴿ النسب ﴾

شجرة النسب النبوي الشريف تأليف السلطان الملك الاشرف ابي النصر قانصوه الغوري

﴿ الجغرافيا ﴾

صور الاقاليم الاسلامية لابي زيد احمد بن سهل البلخي (بالخرط)

صورة الارض وصفة اشكالها ومقدارها في الطول والعرض واقاليم البلدان ومحل العامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالاعمال المجموعة اليها (بالخرط)

هيئة اشكال الارض ومقدار صورها في الطول والعرض (بالخرط)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المعروف بكتاب رجار Roger للشريف الادريسي (بالخرط)

﴿ الرحلة ﴾

تاريخ الامير ليشبك الظاهري (وهو رحلة الجنود المصرية وفتوحاتهم في آسيا الصغرى في ايام السلطان الملك الاشرف قايتباي)

﴿ علم حفظ الصحة ﴾

كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة لتقوسوني الطبيب في عصر السلطان قانصوه الغوري

﴿ علوم طبيعية وميكانيكية ﴾

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لابن المكرّم صاحب لسان العرب

الباهر في علم الحيل

الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل (بالاشكال والصور)

﴿ علم الحيوانات ﴾

الدر المطابق في علم السوابق (في طب الخيل وقد ظفر به ملك الارمن في خزائن العباسيين عند ما هاجم مع التتر فنقله الى بلاده وامر بترجمته ثم ضاعت النسخة العربية الاصلية وقد ظفر جنود مصر بالترجمة في بلاد الارمن حينما فتحوها فترجمة الى العربية ابن الخليفة العباسي بمصر بمساعدة بعض الاسرى من الارمن)

طب الطيور (مستخرج من خزانة الرشيد)

﴿ علم المعادن ﴾

الجماهر في الجواهر لفيلسوف الاسلام بالهند ابي الريحان البيروني

ازهار الافكار في جواهر الاحجار للتيفاشي

﴿ علم الفلك ﴾

التفهيم لصناعة التنجيم لابي الريحان البيروني

علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الخراساني بخط يملك بن عبدالله القيجاقي

﴿ علم الموسيقى ﴾

كتاب العود والملاهي للفضل الفضي

كشف الغموم والكُرب بشرح آلة الطرب (بالصور والاشكال)

﴿ علم الحرب ﴾

العز والمنافع للمجاهدين بآلات البارود والمدافع لابن غانم الاندلسي (بالاشكال)

الانيق في المناجيق (بالصور والاشكال)
التذكرة الهروية في الحيل الحربية للسائح الهروي

﴿ ديانات قديمة ﴾

فلسفة الوثنيين (وهو قطعة بقيت من كتاب شمطس الذي احرقهُ بعضهم وترجمها احد المسلمين مع شرح الاناشيد والالحان الموسيقية الخاصة بديانة الوثنيين وبديانة المجوس)
كتاب الاصنام لابن الكلبي

﴿ فنون متنوعة ﴾

لطائف المعارف النيسابوري
عين السبع مختصر طرد السبع للصلاح الصفدي
الالمام باداب دخول الحمام
الكوكب الدري في اجوبة السلطان الغوري
نفائس المجالس السلطانية في حقائق الاسرار القرآنية لجمعية من العلماء في عصر السلطان الغوري وهو في جملتهم
الترقق في العطر للفيلسوف الكندي
كتاب الاطعمة المستعملة في مصر على عهد سلاطين المماليك
الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب

ثم ان عطوفة رئيس النظار رفع مذكرةً في هذا الموضوع الى مجلس النظار اقترح فيها تكليف نظارة المعارف بما يأتي

اولاً المبادرة بدون تأخير في تدبير الوسائل التي تضمن احياء الآداب العربية حسب البيانات التي اوضحها سعادة احمد حشمت باشا في تقريره

ثانياً تخصيص المبلغ الاحتياطي المتكون بدار الكتب الخديوية لهذا الغرض

ثالثاً الابتداء في احياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبريين المعروفتين باسم « نهاية الارب في فنون الادب » لشهاب الدين النويري و « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري

رابعاً الاستمرار على موالاة هذه النهضة التجديدية بطبع ونشر بقية الكتب التي اشار

اليها حضرة احمد زكي بك حسب الكشف المرفق بهذه المذكرة ثم سائر المخطوطات العربية الاخرى الكثيرة الندرة العظيمة الفائدة

الى ان قال : — « هذا واني ارى من جهة اخرى ان ضمان النجاح لهذه الحركة الخصبة يوجب على مجلس النظار ان يسهل على نظارة المعارف العمومية القيام بمهمتها بالفلاح الذي تبتغيه لهذا الاصلاح فلذلك يحسن بحكومة الجناب الخديوي المعظم ان تكلف نظارة المالية بامرين اثنين ايضاً وهما :

اولاً جعل مبلغ الف جنيه تحت تصرف نظارة المعارف العمومية بصفة اعانة خصوصية لطبع الموسوعتين المذكورتين قبل

ثانياً اصدار الاوامر اللازمة الى مطبعة بولاق الاهلية للاسراع في انجاز اعمال الطبع بكل ما في الامكان وأملي وطيد في ان المجلس يتكرم بالموافقة على ما ابديته من الاقتراحات ليجري العمل بانتظام ونتق المرغوب فان انجاز هذا المشروع على اجمل حال مما يجعل بحسنات هذا العصر ويكون غرة في جبين الدهر تشهد بارتقاء العلوم والآداب بين مولانا الخديو ناشر رايات العدل ورافع اعلام العلم والفضل »

فاطلع مجلس النظار على المذكرة المقدمة من رئيسه وعلى تقرير ناظر المعارف وبعد المفاوضة قرر الموافقة على جميع الاقتراحات التي تضمنتها تلك المذكرة وتكليف نظارتي المعارف العمومية والمالية بتنفيذها

فنهنئ صديقنا زكي بك بان الحكومة المصرية قدرت همته قدرها وعمله قدره ولم تسمح ان تذهب اتعابه سدى

والناظر في الكتب المذكورة آنفاً يرى ان اكثر الكتب العربية يرى ان الفائدة المادية منها لابناء هذا العصر قليلة في جنب الفوائد التي يمكن ان تنال من الكتب الحديثة . فقانون ابن سينا افضل ما وضع في علم الطب بالعربية وكان يدرّس في المدارس الطبية الاوربية ولكن ما من احد منا اذا مرض ابنه يستدعي له طبيباً يبني معالجته للامراض على قانون ابن سينا . والزيج الصابي افضل ما وضع بالعربية في علم الفلك ولكن ما من عالم فلكي الآن يبني حساباته الفلكية على هذا الكتاب . واذا اعتمدنا على كتب العرب ووسائلهم في الزراعة والصناعة والتجارة والملاحة وفنون الطب والحرب وما اشبه ولم نعتمد على الكتب الحديثة والعلوم الحديثة والوسائل الحديثة رجعنا القهقرى وصار شأننا مثل شأن اسلافنا منذ عشرة

قرون او عشرين قرناً ونضطر حينئذٍ ان نسافر من مصر الى الاسكندرية او الى الخرطوم راكبين على الجمال والبغال وان نحارب الاوربيين بالرمح والمزراق وان ننسخ كل كتبنا نسخاً وان ننير بيوتنا بمصابيح الزيت وان لا نستعمل البخار ولا الكهربائية ولا شيئاً من الآلات والادوات الحديثة

ولكن الكتب القديمة كثيرة الفوائد الادبية وان قلت فوائدها المادية وقد تكون فوائدها الادبية اغزر من فوائد الكتب الحديثة . ونحن نرتاح الى مطالعة رحلة قديمة مثل رحلة ابن جبير على ما فيها من الخطإ والسخافة اكثر مما نرتاح الى مطالعة رحلة حديثة لاننا نرى في الاولى اموراً كثيرة لم تكن نعلمها عن احوال الناس وطرق المعيشة في الزمن الذي كان فيه ابن جبير . ونرتاح الى مطالعة حكم الحكماء الغابرين وجوامع كلمهم وبليغ اشعارهم اكثر مما نرتاح الى مطالعة ما يماثل ذلك من اوضاع المحدثين . ونسر برؤية التماثيل التي صنعها مهرة النقاشين من اليونان والرومان كما نسر برؤية ما يماثلها من اعمال النقاشين المحدثين . ولا يخفى ان الحياة غير مقصورة على المأكل والمشرب والملبس والمأوى اي على ما يحتاج اليه الجسد بل تشمل ما تحتاج اليه النفس ويرتاح اليه العقل . وهذه الكتب المذكورة آنفاً قد لا تعلّم احداً كيف يتقن زراعته او يربي ماشيته او يشفي مرضه او يحفظ صحته او ينسج ثوبه او يسهل عمله وقد لا يستفيد القطر المصري منها ما يساوي نفقات طبعها . والاهتمام بنشر كتاب في زرع القطن وحلجه او زرع الكتان وتصفيته واستخراج الياقه يفيد القطر المصري مالياً اضعاف اضعاف ما يفيده طبع هذه الكتب . ولو تولت الحكومة المصرية طبع هذه الكتب وهي مضطرة الى الانفاق على الحاجيات فقط ولا تستطيع الانفاق على شيء من الكماليات او لو تولى طبعها رجل ليس عنده ما يكفي لقوته الضروري لقلنا ان الحكومة معذورة والرجل مجنون ولكن الحكومة في سعة مالية وهي تنفق كل سنة الوفاً كثيرة على الكماليات فاحرى بها ان تنفق بعض ذلك على نشر هذه الكتب وامثالها . فنحن نرحّب بعملها ونشكرها عليه سلفاً ونعده من خير الاعمال الادبية التي عملها ناظر المعارف العمومية والوزارة السعيدية . ونقترح على الذين يتولون طبع هذه الكتب ان يلحقوا بكل منها فهرساً على حروف المعجم يكون شاملاً لكل ما فيها حتى تسهل مراجعتها . وحبذا لو علقوا عليها بعض الحواشي التي تفسر غامضها وتزيل اشكالها . ونكرر التهنئة لحضرة زكي بك لانه فاز بمقامه ونال ما عجز عن نيله العلماء المستشرقون فحق له التكبر من كل ناطق بالضاد